نعمـــة غير مترقبـــة

لست من المتفائلين ، كما أنى لست من المتشائمين ، وإنما أنا أبتهج حين أجد ما يدعو إلى الابتهاج ، وأكتئب حين أجد ما يدعو إلى الاكتئاب ! . . غير أن ما حدث لى فى هذا اليوم يدعو حقاً إلى التفاؤل .. وإن كنت قد سمعت بالنعمة الغير مترقبة . والرزق الذى لم يكن محتسباً ، فهو ما حدث لى فى هذا اليوم وهو اليوم المصادف ١٩٥١/١/١

فقد خرجت فى الساعة الثامنة صباحا قاصدا صديقى الأديب الأستاذ عبد المنعم العجيل ، ولم أكد أجتاز منزلى بضع خطوات ، وإذا بصديقى — الذى كنت أقصده — يقف أمامى بسيارة ، يتعجلنى الركوب !. ولما استقر بى الجلوس سألته عن الخبر : فأجاب بأنه قد دعى أفراد البعثة العلمية العراقية التى تزور الكويت — إلى حفلة شاى فى المطار . ثم أردف قائلا : ما رأيك فى هذه الفكرة ؟ : فقلت — :

« على قدر أهل العزم تأتى العزائم
وتأتى على قدر الكرام المكارم »

فضحك ! . . ثم أمر السائق أن يقصد بعض الأصدقاء من الأدباء ، ليشتركوا معنا فى هذه الدعوة بحضورهم . ثم قصدنا مقر الضيوف الكرام ، وبعد التعارف بهم ، مضينا جميعا إلى المطار . . وبعد أن تناولنا ما أعد لنا من الفاكهة وغيرها ... التقطت لنا بعض التصاوير التذكارية ، ولما انتهينا من ذلك كله ، قام الأستاذ عبد المنعم العجيل ، وألقى كلمة مرتجلة قال فى بعضها : « إنى لم أقم بهذه الحفلة ، إلا لكى أنور إخوانى — أبناء وطنى الأول — العراقيين ، عن حقيقة اخوانى — أبناء وطنى الثانى — الكويتيين . . وأمحو عن أذهانهم ما يشيعه بعض المغرضين عن الكويت والكويتيين . وأذكرهم بأن لهذا البلد الذى يزورونه الآن أمانة فى أعناقهم ، وهى أن ينوروا إخواننا العراقيين عن الحقائق التى لمسوها ورأوها وسمعوها بأنفسهم . . » وبعد الانتهاء من كلمته دعانى لإلقاء كلمة مناسبة . فقمت ، وتشكرت منه ، ورحبت بالزائرين الكرام ، ولما كنت قد سمعت أنهم عازمون على السفر بعد ساعات ، استشهدت بهذه الأبيات :

بأبى من زارنى مكتتما
حـــذراً من كل واش فزعا
طارقاً نم عليـــه نوره
كيف يخفى الليـــل بدراً طلعا
راقب الفرصـة حتى أمكنت
ورعى الســامر حتى هجعا
كابد الأهـوال فى زورته
« ثم ما ســـلم حتى ودعا »

ثم ناشدتهم أن ينشروا ما شاهدوا ويشاهدون في الكويت فى الصحف العراقية ، وبعد الانتهاء من كلمتى قام أحد أفراد البعثه ، وألقى كلمة مختصرة شاكراً الحفاوة التى لاقوها من الكويتيين عامة وإدارة المعارف خاصة . وبعد ذلك رجعنا إلى مقر الضيوف الكرام . . وبعد ظهر اليوم نفسه رافقنا هذه البعثه فى الدعوة التى وجهتها إليهم إدارة المعارف لمشاهدة بعض القرى الساحلية وغيرها كالأحمدى وميناء الفحيحيل . . وهكذا أنفقنا ذلك اليوم الجميل نتساقى كؤوس الأحاديث العذبة مع هـذه الصفوة من إخواننا العراقيين . . وقد حق للأخ عبد المنعم أن يقول فى هذا النهار — من قصيدة حديثة له — :

يا نهاراً مر ، كالحلم بأجفان العذارى ! !
كنت نوراً لفؤادى — يا ترى — أم كنت نارا ؟ !
أنت نور ، لك من نور « ابنة النور » ازدهارا
أنت نار ، حين ذاك النور عن عينى توارى .

* * *

يا نهاراً أشرقت لى فيـــه شمس الأمنيات
فأزالت دامس الأوهـــام من أفق حيـــاتى
وأثارت لى من المـــاضى ، دفين الذكريات
بعد أن كن رميما ، من حطـــام ورفات !

* * *

يا نهـــاراً مر ، هل من عودة أخرى إليا ؟
هل يمن الدهر فى مثلك بالعمر عليـــا ؟
فيعود العيش حلواً ، باسماً ، طلق المحيـــا .
ويعود « الأمل » الضـــائع من بين يديا !

الكويت — عبد الرزاق البصير